نحو نظرية اسلامي

مقدمة وتعريفات

تتناول هـذه الدراسة قضيـة فكرية هامة وهـي تنظيم المعرفة عند المسلمين • وقد يكون من المفيد ان نبدأ بتحديد مفهوم واضح لتنظيم المعرفة قبل أن نتناول القضيـة الاساسية من الدراسة وقد يجرنـا هذا الى تعريف بعض الالفاظ التي سوف نستعملها •

تنظيم المعرفة

يقصد بتنظيم المعرفة Organization of Knowledge المحاولات التي قام بها العلماء والفلاسفة وعلماء المكتبات والمعلومات وغيرهم علـى مر العصور لتصنيف العلوم وتصنيف المعرفة والكتب • وقد استعمل اللفظ هنري افلين بليس H.E. Bliss عالـم التصنيف الامريكـي في عنوانين لكتابين من كتبه :

1. The organization of knowledge and the system of the sciences (1929). (تنظيم المعرفة ونظام العلوم)

...ـة لتنظيم المعرفـة

● للدكتور : عبد الوهاب عبد السلام أبو النور

2. The organization of knowledge in libraries and the subject approach to books (1939).

(تنظيم المعرفة في المكتبات والمعالجة الموضوعية للكتب)

وقد تتبع في أولهما المحاولات التي بها العلماء لاعداد تصانيف للمعرفة والعلوم على مـر العصور تمهيدا للوصول الى نظرية خـاصة بتنظيم المعرفة بصورة معينة ، وهو ما أسماه باصطلاح العلماء والتربويين Educationed and Scientific Consensus.

وفي كتابه الثاني درس أنظمة التصنيف التي كانت تستعمل في المكتبات حين صدور الكتاب ، كما نقد هذه الأنظمة ، ودرس المفاهيم الاساسية للتصنيف ووضع في النهايـة نظريـة أو أساسا لتصنيف المكتبـات بنـى عليهـا فيمـا بعد تصنيفه الببليوجرافي ٠ ومن هذا يتضح أن تنظيم المعرفة ذو شقين :

١ ــ تصانيف الفلاسفة والعلماء ٠

٢ ــ وتصنيف المكتبات ٠

وهما مرتبطان ارتباطا قويا (١) ٠ وتتبنى نظرية بليس على الربط بينهما ٠ وليس هنا مجال مناقشة آراء بليس عــن الاصطلاح أو عن ارتباط تصنيف المعرفة بتصنيف الكتـب ولكننـا أردنـا فقط الخـروج بتعريف لتنظيم المعرفـة وعلاقته بالتصنيف (٢) ٠

وفي سنة ١٩٦٥ أصدر نيدهام وهو من أساتذة التصنيف في ليفربول كتابا يحمل العنوان التالي :

The organizing of knowledge in libraries

وهو يقارب كتاب بليس الثاني من حيث العنوان الامر الذي قد يوحي بأن المحتوى متشابه ، ولكن نيوهام يختلف اختلافا كبيرا عن بليس ، فهو يعني بوظيفة التنظيم في المكتبة أساسا • وقد أصبحت وظيفة التنظيم في المكتبة تشمل كل عناصر الاعداد سواء منها ما كان شكليا يعني بالملامح المادية للمواد أو ما كان منها موضوعيا يعني بالمحتوى الفكري • وقد اصطلح على تسمية الجانب الاول بالفهرسة الوصفية ، واصطلح على تسمية الثاني بالفهرسة الموضوعية • وتضم الاخيرة محورين : التصنيف ورؤوس الموضوعات • وترتيب الاخيرة هو الترتيب الألفبائي أما الاول فيتخذ الترتيب العلمي ، وهو الذي ينطبق عليه مفهوم تنظيم المعرفة بصفة خاصة اذ ان الترتيب الألفبائي لا يهتم بالجانب العلمي وانما يهتم بالترتيب العرضي • ولذلك فان الذي يعنينا هنا من عناصر التنظيم هو التصنيف •

والتصنيف Classification هو بالمعنى العام جمع الاشياء المتشابهة وفصل الاشياء غير المتشابهة • ويتحدد التشابه والاختلاف على أساس امتلاك الاشياء أو عدم امتلاكها لصفة جوهرية تسمى الخاصية Characteristic

وهناك تطبيقات متنوعة لهذا التعريف في مجالات مختلفة :
فالتصنيف الفلسفي Philosophical هو المحاولات التي قام بها الفلاسفة لتصنيف المعرفة ، ولم يكن لهذا النوع من التصنيف غاية عملية يبتغيها الفيلسوف ، بل كان مجرد رياضة عقلية يعرض من خلالها تصوره لتنظيم المعرفة ، وتعد جزءا من فلسفة ، ولم يكن هذا بهدف الاستعمال في المكتبات •

والتصنيف العلمي Scientific هو نوع من التصنيف يصدق على تصنيف الكائنات الحية بصفة خاصة • وهو يعرف باسم Taxonomy أي تصانيف الاحياء • وهناك أمثلة كثيرة على هذه التصانيف في علوم النبات والحيوان خاصة • وقد كان الغرض منها مساعدة العلماء في نسبة مكتشفاتهم الجديدة من النباتات والحيوانات • ففي هذا النوع من التصنيف تقسم الكائنات الحية (النباتات والحيوانات) وفقا للصفات التشريحية لها الى رتب وطبقات وطوائف وفصائل معينة • ويسجل عن كل فصيلة أو طائفة سلسلة من الخصائص يمتلكها أفرادها • وحينما يظهر كائن جديد يكتشفه العلماء يقومون بتشريحه •

وبمقارنة سلسلة الخصائص التي لهذا الكائن مع الخصائص المختلفة لكل فصيلة أو طائفة يمكن معرفة الفصيلة التي ينتمي اليهـا الكائن الجديد ، أي يمكن تصنيفه ونسبته الى القسم الاكبر الذي ينتمي اليه ٠

وقد كانت هذه العملية مفيدة للعلوم الطبيعية وساهمت في تقدمها ٠ ورغم ان غاية هذا النوع من التصنيف غاية عملية ، الا أن الغرض منه كان خدمة العلوم الطبيعية ومن ثم فهو يعد جزءا منها ولا يتعداها الى الاستعمال في المكتبات ٠ وهناك نماذج كثيرة من التصانيف العلمية (٣) ٠

أما تصنيـف الكتـب Book Classification أو التصنيـف البيليوجرافي Bibliographic فهو يهدف الى جمع الكتب والمواد التي تعالج موضوعا واحدا في مكان واحد من رفوف المكتبة أو فهارسها أو مـن البيليوجرافيات المختلفة التي ترتـب بالـموضوع ٠ وقـد أطلق عليـه تسميات أخرى منهـا تصنيـف المكتبات Bibliothetical, Library class وتصنيف الوثائق Documentery وتصنيـف المعلومـات Information ، وأخيـرا التصنيـف لأغراض تنظيـم واسترجاع المعلومات (٤) ٠ والتسميات جميعا تصدق على تصنيف الكتب وغيرها من أوعية المعلومات ٠ وحيثما توجد المعلومات فلا بد من التنظيم ، اذ لا بد ان العلماء سوف يطلبون المعلومات من خلال الموضوع ، أي سوف يطلبون معلومات في موضوع معين ، ولذلك فان التصنيف قديم قدم المعلومات نفسها ٠ ولكن التسميات السابقة حديثة نسبيا ، فقد وجد رجال المكتبـات أن التصنيف يستعمل في العلوم الطبيعية بنجاح فارادوا هم أيضا أن يستفيدوا منه في عملهم ، اذ أنهم يهتمون كذلك بتنظيم العلوم والمعارف المسجلة في الكتـب ٠ كمـا أن العصر كـان عصر العلوم الطبيعية وكانت المجالات المختلفة تحاول أن تحذو حذوها في الطرق والمناهـج ٠ ولذلك لجـأ رجال المكتبات في المرحلة الاولى الى تصنيف العلوم ٠ ولما كانت هذه التصانيف تعتمد اعتمادا كبيرا على التصنيف المنطقي دخلت الأسس الفلسفية والنظرية للتصنيف الى تصنيف الكتب ٠

وحينما دخل التصنيف بالمفهوم الحديث الـى عالم المكتبات كانـت الوحدة البيليوجرافية السائدة والمقبولة هي الكتاب ، ولذلك ارتبطت التسمية بـه فقلنا تصنيف الكتـب والمكتبات ، كمـا قلنا التصنيف البيليوجرافي للتفرقـة بينه وبين التصنيف الفلسفي والتصنيف العلمي ٠

ولكن في العقود الاخيرة بدأت أوعيـة جديدة للمعلومات تظهر وتحتل مكانها في عالم النشر والبحث ، مثل المجلات والابحاث والتقارير ، والأفلام ، والمصغرات العلمية وغيرها • ولذلك كان من الضروري أن يعبر علم المكتبات عن هذه التطورات فاعتبرت هذه جميعا وثائق تضم معلومات • ومـن هنـا جاءت التسمية : تصنيف الوثائق ، ثم التصنيف لأغراض تنظيم واسترجاع المعلومات • بل ان علم المكتبات نفسه قد عبر في تسميته عن هذه التطورات فأصبح علم المكتبات والمعلومات ، أو علم المعلومات فقط •

وقد قام علماء تصنيف المكتبات باعداد عدد من التصانيف او الانظمة التـي تطبق في المكتبات على وحدات الانتاج الفكري • وأصبح التصنيف من أهم فروع علم المكتبات ان لم يكن أهمها علـى الاطلاق • وذلك لأنـه يعني بالمحتوى الفكري للوثائق • وهو ـ أي المحتوى ـ هو السبب الذي من أجلـه تقتنى الكتب والوثائق ومن أجله تنظم وتستعار ، بل من أجله نشأ علم المكتبات أصلا • ولما كان التصنيف يعتمد على الخاصية الجوهرية ، وهي هنا المحتوى الفكري أو الموضوع ، بأن كلمة تصنيف الكتب تعني تنظيمها بالموضوع وليس بأية طريقة أخرى من طرق الترتيب •

ونظام التصنيف أو خطته System or Sheme هو الأداة التي يستعملها المصنفون لتعيين أرقام التصنيف للموضوعات المختلفة • وهو نوعان :

التصنيف العام أو الشامل General والخاص أو المتخصص Special والاول يضم كل فروع المعرفة البشرية ، والثاني يضم فرعا واحدا منها فقط •

التصنيف في المكتبات العربية :

مما لا شك فيه أن العرب قد عرفوا التصنيف ، فحيث توجد المكتبات يوجد التصنيف • وقد كانت المكتبات مزدهرة في العالم الاسلامي ، وعليها اعتمدت النهضة العلمية التي وصلت الى القمة في قرون قليلة • ولكن الدراسات التـي تعرضت لتاريخ المكتبات في الاسلام ـ على قيمتها وأهميتها ـ لم تهتم اهتماما كبيرا بالجوانب الفنية ، بل اهتمت بالمكتبات نفسها كظاهرة علمية حضارية أو تربوية • وقد جاءت دراسات كثيرة منهـا وسط كتب تؤرخ للحياة العقليـة عند المسلمين ، أو الحياة التربوية ، أوفي كتـب التاريخ والخطط والأدب والتراجم • ولا زلنـا بحاجة الى دراسة معمقة للجوانب الفنية في المكتبة الاسلامية على ضوء علم المكتبات الحديث ، من حيث الفهرسة والتصنيف ، الخ •

ولو أننا اعتمدنا في تقدير حالة تصنيف المكتبات الاسلامية على ما تضمنته المصادر المختلفة عن التصنيف عند العرب ، لأمكننا أن نفترض أن التصنيف في المكتبات الاسلامية كان على درجة عالية من الرقي • فقد حفلت المصادر الاسلامية بالتصانيف التي أعدها الفلاسفة والبيليوجرافيون والعلماء ابتداء من القرن الرابع الهجري وحتى وصلت الى ذروتها في القرن العاشر • بل لقد رفع العلماء المسلمون التصنيف الى مرتبة العلم حيث جعله طاش كبري زادة واحدا من العلوم الثلاثمائة التي اشتمل عليها مفتاح السعادة وأسماء علم تقاسيم العلوم • ولقد زاد على ذلك تعرفة على طريقتين من طرائق التصنيف هما في الحقيقة أهم ما أدركه العقل الانساني في هذا الصدد وحتى عصرنا الحاضر ، بل أن طريقة التحليل عند طاش كبري زادة تماثل أحدث الطرق العلمية في التصنيف والتي لا تزال قيد الدراسة والبحث في لندن في الوقت الراهن •

ولا شك أن هذه هي صورة التصنيف عند المسلمين لأن طاش كبري زادة لا يأتي بشيء من اختراعه وانما هو مسجل أمين لحالة العلوم عند العرب والمسلمين ، ولولا أنه وجد تراثا فكريا قويا في الموضوع لما جعله فرعا من الفروع التي سجلها قائمة برأسها • وقد يتضح هذا أكثر عند الحديث على التصنيف الاسلامي فيما بعد•

وقد كان هذا هو شأن التصنيف ابان عصر الحضارة الاسلامية الزاهر ، ولكن الامور لم تستمر على هذا النحو ، اذ عملت عوامل متعددة على تأخر المسلمين وعلى انتقال زمام الحضارة والتقدم الى الغرب فنشأت العلوم الحديثة وقطعت شوطا بعيدا في طريق التقدم •

وقد بدأنا في العصر الحديث نحاول تعويض التخلف وسد الفجوة التي تفصلنا عن الأمم المتقدمة ، وكان لا بد من ادخال العلوم الحديثة فوفدنا اليها أو وفدت الينا، ادراكا منا لأهمية العلم في صنع التقدم •

وقد كان علم المكتبات من العلوم التي وفدت الينا من جديد ، فدخل الى أوطاننا على المستوى الأكاديمي متمثلا في انشاء دراسات أكاديمية في الجامعات العربية ، وعلى المستوى التطبيقي متمثلا في محاولة المكتبات العربية تطبيق الممارسات الحديثة •

واذا كان التقدم الحضاري يعتمد على العلم ، فان العلم لا يمكن أن ينهض بدون المكتبات والمعلومات والخدمات الببليوجرافية · وهي تهدف الى توصيل المعلومات المناسبة للقارىء المناسب في الوقت المناسب وبالقدر المناسب · وتحقيق هذا لا يتم الا بالتنظيم ، والتصنيف قوام عملية التنظيم وأساسها ولبها لأنه كما ذكرنا يهتم بالمحتوى الفكري الذي من أجله تقتنى المعلومات أصلا ·

لذلك كان من الضروري ، ومع بداية دخول علم المكتبات نظريا وتطبيقيا ، أن تثار قضية التصنيف ، أي بماذا تصنف المكتبات العربية · بل لعل هذه القضية كانت ولا تزال أهم القضايا التي تهتم بها المكتبات العربية باعتبار التصنيف أهم الركائز التي يستند اليها العمل في المكتبات ، وباعتبار غايته هي خدمة الباحثين والعلماء في آلاف المكتبات في الوطن العربي على امتداده ·

وللاجابة على السؤال فلا بد من دراسة ثلاثة بدائل :

١ – اختيار أحد الأنظمة الاجنبية وتطبيقه كما هو ·

٢ – اختيار أحد الأنظمة الأجنبية وتطبيقه بعد تعديله ·

٣ – اعداد نظام عربي لحما ودما ينبع من احتياجات المكتبات العربية ويوفر بكفاية للموضوعات العربية والاسلامية ويعبر عن الفكر العربي الاسلامي ·

ودراسة البدائل الثلاثة تتطلب ما يأتي :

١ – دراسة أنظمة التصنيف الأجنبية دراسة نقدية ومقارنة لمعرفة هل تصلح كما هي للتطبيق في المكتبات العربية ·

٢ – دراسة المحاولات العربية في التصنيف سواء كانت تعديلات لأنظمة أجنبية أم كانت نظما خاصة ببعض المكتبات ·

٣ – دراسة نظرية التصنيف ، وهي المنهج الذي وضعه علماء التصنيف لكي تبنى على أساسه وتقيم أنظمة التصنيف ، ثم عرض الانظمة الاجنبية عليها لمعرفة هل تصلح من وجهة نظر المنهج أم لا ·

٤ ــ دراسة التراث الفكري العربي والاسلامي في موضوع التصنيف من جهة وفي الموضوعات الاخرى من جهة أخرى لمعرفة الى أي حد تتفق أو تختلف مع الثقافات الاخرى • وقد تمت دراسة من النوع السابق منذ عشر سنوات ولسنا نريد الاطالة بايراد أية تفاصيل ولكن ما نود أن نقوله هنا هو أن الدراسة المشار اليها (٥) قد خلصت الى النتائج الآتية :

أولا : ان أنظمة التصنيف الاجنبية لا تصلح كما هي للمكتبات العربية :

١ ــ فهي باعتبارها أدوات للتنظيم المقنن للمعرفة تتبع اطارا عقيما لتنظيم المعرفة ولا تتوافق مع المعرفة الحديثة، الانظمة الاجنبية ــ فيما عدا تصنيف الكولون لرانجاناتان عالم التصنيف الهندي ــ خطط حاضرة والمعرفة الحديثة معرفة تحليلية تركيبية • فالموضوعات الجديدة لا تنمو من خلال الانشطار أو التقسيم فقط ولكنها تنمو من خلال الاندماج أو الالتحام مكونة موضوعات مركبة جديدة • ولا شيء يمكن أن يدلنا على أي العناصر سوف تلتحم معا اليوم أو غدا لأننا لا يمكن أن نتوقع الارتباطات الموضوعية الجديدة التي سيكتب فيها المؤلفون والعلاقات الجديدة التي سينتهجها البحث العلمي ، ومن ثم لا يمكن أن نعين سلفا عددا من القوالب الموضوعية التي يجب أن تقحم فيها الموضوعات • وانما يجب أن تكون ثمة طريقة تتوافق مع الطريقة التي تنمو بها المعرفة • وهذه الطريقة هي الربط الحر للعناصر التي تتألف منها الموضوعات حيثما تظهر في الانتاج الفكري • وهو ما يعرف بالتركيب ، أي تحليل الموضوعات ثم تركيبها • وهو ما يعرف بالتصنيف التحليلي التركيبي أو المتعدد الأوجه • ورغم أن تصنيف الكولون يسير وفق هذا الاتجاه الا أنه لا زال معمل بحث أكثر منه خطة مكتملة يمكن العمل بها في المكتبات • وخطط التصنيف العامة الاخرى هي من النوع الحاضر الذي يحدد قوالب جاهزة لتصنيف الانتاج الفكري ، ومن ثم فهي لا تتوافق مع الطريقة التي تنمو بها المعرفة وتتكون بها الموضوعات المركبة الجديدة •

٢ ــ ان أنظمة التصنيف الاجنبية لا تعالج بكفاية الموضوعات العربية والاسلامية • لقد أعدت هذه الانظمة لثقافات ومكتبات مختلفة عن ثقافتنا• ومن حقها أن توفر للموضوعات التي تكون ثقافتها وتراثها وان تجعل هذه الموضوعات في المقدمة ، وأن توفر لها المكان المناسب والكافي • وهذا

لا بد أن يكون على حساب الموضوعات التي تكون ثقافات وأديان البلاد الاخرى • واذا كانت هذه الخطط على صواب فيما تفعله بالنسبة لثقافاتها وأديانها فان الخطأ كل الخطأ هو في محاولة تطبيقها ــ وحالها تلك ــ على ثقافتنا وديننا • فهي تضع الاسلام ضمن الديانات الاخرى موفرة له مكانا واحدا مقابل سبعين مكانا للمسيحية ، ونفس الشيء يصدق على اللغة العربية والادب العربي اذ يوضعان في الموضوعات الاخرى ــ أما التاريخ فينطوي تصنيفها له على أخطاء كثيرة •

هذا فضلا عن أن الاطار العام الذي يضم تلك التفاصيل يختلف عن الاطار العام للثقافة الاسلامية • وهذا ما سوف نفصله فيما بعد •

ثانيا : الاعمال العربية في التصنيف نوعان :

أنظمة خاصة ببعض المكتبات مثل دار الكتب بالقاهرة ومكتبة الأزهر بالقاهرة أيضا •

وتعديلات لبعض الانظمة الاجنبية انصبت كلها على الموجز الثالث للتصنيف المشرين لديوي فيما عدا عمل واحد انصب على الطبعة الثامنة الموجزة (١٩٥٩) •

وهذه الاعمال لا تصلح هي الاخرى :

١ ــ فالأنظمة الخاصة لا ترقى الى مستوى خطط التصنيف الحديثة ولا تضم من خصائص التصنيف الحديث قليلا أو كثيرا • وهي مجرد رؤوس موضوعات واسعة جدا لا تضم التفاصيل المطلوبة لتصنيف الانتاج الفكري الحديث ، ولا رمز لها ترقم به الموضوعات ولا كشاف •

٢ ــ التعديلات العربية لموجز التصنيف العشري اعتمدت على التصنيف العشري وهو خطة معيبة أصلا • وقد حملت كل عيوب الأصل وأضافت اليه المزيد • وليس بوسعنا هنا أن نفصل في هذا الصدد منعا للاطالة (٦) •

ثالثا : يبقى البديل الاول وهو اعداد خطة عربية عامة للتصنيف • وهذا هو أصعب البدائل ولكنه أفضلها لأنه يحقق آمال المكتبات العربية ويضع حدا لحالة

الفوضى في المارسة والتي تعاني منها • وكل من يعمل بالتصنيف في المكتبات العربية يقدر قيمة هذا الكلام ، فهم يعبرون دائما عن عدم الرضا عن الأدوات الموجودة •

هذا فضلا عن أن لنا تراثا تصنيفيا حافلا كما سوف يتضح بعد قليل ، ولنا في الموضوعات العربية والاسلامية تراث يجب أن يكون أساس اعداد تصانيف هذه الموضوعات •

الخطة العربية للتصنيف :

أما وقد استقر بنا الراي على أن نتخذ موقف التأصيل باعداد خطة عربية كاملة للتصنيف وليس موقف التعديل ، فقد كان ولا بد من مزيد من الدراسات :

١ — ما هو المنهج الذي سوف تبنى عليه الخطة العربية •

٢ — ما هو الاطار العام للخطة ، بمعنى ما هي الاقسام الرئيسية للخطة والاطار الفكري الذي سوف ينتظمها •

٣ — ما هي الموضوعات التي ستعد لهـا تصانيف أصيلة ، وما هي الموضوعات التي يمكن الاستفادة فيها من انجازات الآخرين •

والتسلسل السابق هو التسلسل المنطقي لمراحل اعداد الخطة العربية للتصنيف، فلا بد من أن نحدد أولا الأسس والمنهج ، ثم نحدد الاطار العام وذلك من خلال تعيين الاقسام الرئيسية للخطة ثم ترتيبها ، ثم تحديد العلاقات بين المجـالات الموضوعية المختلفة ، الخ • ثم تأتي المرحلة الثالثة وهـي اعداد التصانيف لعدد مـن العلوم العربية والاسلامية الاصيلة والتي هـي من مسئوليتنا نحن ، وهـي الدين واللغة والادب والتاريـخ والجغرافيا ، ثم المرحلـة الاخيرة وهـي اعداد تصانيف لبقيـة الموضوعات •

وقد حدث تخالف في هذا التسلسل لظروف خاصة ، فقد بـدأ تحديد المنهج وتعميقه ثم تطبيقه في اعداد تصنيف لعلوم الدين الاسلامي ، وذلك قبل تحديد الاطار العام للخطة (٧) • ولم تكن ملامح النظرية الاسلامية في تنظيم المعرفة قد وضحت

او كتبت بعد • ولكن كان الافتراض الاساسي وقتها هو أن الدين الاسلامي يجب أن يسبق غيره من الموضوعات في خطة التصنيف العربية وذلك لمكانة الاسلام في نفوس المسلمين وفي المنهج التربوي عندهم • وكل أنظمة التصنيف الاجنبية تبدأ بالفلسفة وهي تضم كتب الالحاد • والقارىء المسلم يكره أن يرى كتب الالحاد تسبق كتب الاسلام وهي تضم علوم القرآن الكريم ، فهو يكره أن يرى على رفوف مكتبة كتب الالحاد تسبق الكتاب العزيز •

على أي حال فقد تم اعداد تصنيف مفصل لعلوم الدين الاسلامي على أساس المنهج الحديث في اعداد قوائم التصنيف ، وهو المنهج التحليلي التركيبي ، ثم أعطيت قوائم التصنيف المفصلة لعلوم الدين الاسلامي (٨) •

وقد خطت الخطة العربية بعد هذا خطوات أخرى ، فقد أوصى مؤتمر الاعداد الببليوجرافي الاول للكتاب العربي (الرياض في نوفمبر / ديسمبر ١٩٧٣) بتجريب الخطة العربية للتصنيف مبتدئة بعلوم الدين الاسلامي (٩) • وهكذا خرجت الخطة الى نطاق التطبيق والتجريب (١٠) •

والمفروض أن تستمر عملية اعداد تصانيف الموضوعات العربية الاسلامية بعد الاسلام ، مثل اللغة والادب ، الخ • وهذا يستلزم وضع الاطار العام للخطة وتحديد العلاقات بين الموضوعات وترتيب الموضوعات فيمـا بينها ، وهو مـا يعرف بقضية ترتيب الاقسام الرئيسية • والحقيقة أنه في هذه النقطة بالذات تبدو أهمية اتباع النظرة الاسلامية الى تقسيم العلوم وترتيبها • وقد حاولنا ذلك مـن خلال دراسة معمقة للفكر الاسلامي في هذه النقطة والحياة العقلية للمسلمين وأمكن في النهاية الخروج بنظرية لتنظيم المعرفـة عند المسلمين من خـلال ضم الجزئيات والشذرات التي وجدناها •

وحتى لا تطول الصفحات فسوف أركز على هـذه القضية وحدها من قضايا الخطة العربية للتصنيف فيما تبقى من صفحات هذه الدراسة •

الاقسام الرئيسية لخطة التصنيف العربية

الخطوة الاولى في بناء نظام التصنيف العام هي تقسيم عالم المعرفة الى عدد من الأقسام تسمى الاقسام الرئيسية • وهذه لا تزال هي الطريقة السائدة والمتفق عليها حتى الآن ، مهما اختلف المنهج فيما وراء الاقسام الرئيسية • وعلى هذا جرى

أصحاب الخطط العامة السبع التي أنتجت حتى الآن بما فيهم رانجاناثان صاحب تصنيف الكولون .

وقد جرت محاولتان لنبذ فكرة الاقسام الرئيسية واجراء التحليل على المعرفة ككل وبصورة مباشرة . حدث هذا من جاستون فرادان في الخمسينات ، ومن ديريك اوستن وجماعته والذين يحاولون اعداد تصنيف عام في داخل الببليوجرافية الوطنية البريطانية . وقد عرضت لهذه القضية في أماكن أخرى ولا داعي لاطالة الصفحات الآن بها . غاية ما أود أن أذكره الآن هو أن جهود الجماعة البريطانية في هذا الصدد لا زالت بحثا أكثر منها حقيقة مجسدة ، ومن ثم فحتى اذا حاولنا تقويمها فاننا نقومها في هذا الاطار : كافكار قيد البحث وليست شيئا محسوسا . ولذلك فاننا نبقى على فكرة الاقسام الرئيسية لخطة التصنيف العربية كتقليد مستمر ومستقر حتى الآن (١١) .

القسم الرئيسي

القسم Class هو عدد من الاشياء أو المفردات التي تمتلك جميعا صفة واحدة ، هو كل الاشياء التي ترتبط أو ارتبطت أو يمكن أن ترتبط بواسطة التشابه ، وتتباعد بواسطة الاختلاف ، عن كل الاشياء الاخرى في الطباع والخواص والعلاقات الجوهرية والهامة والانتقائية التي تعرف بها (١٢) .

والقسم بهذا المعنى لا يقتصر على الاقسام الرئيسية فقط ، ولكنه يعني كذلك الرتب أو الاقسام الأصغر . وقد عرف التراث العربي لفظ القسم بهذا المفهوم الفلسفي والمنطقي ، فهذا ابن سينا أسمى رسالة له : أقسام العلوم العقلية ، وكذلك فان العلماء كانوا يطلبون من المؤلفين في مقدمات كتبهم تعيين أقسام العلم ، كما أن طاش كبري زادة قد سمى علم التصنيف علم تقاسيم العلوم ، وهو مشتق من القسم .

وان تعريف القسم الرئيسي Maim Class من الصعوبة بمكان ، وهو مصطلح يستعمل بكثرة للتعبير عن المجالات الرئيسية للمعرفة ، ولكن ليس هناك تعريف مستقر أو كاف للقسم الرئيسي لا عند علماء التصنيف ولا عند أصحاب الخطط العامة ، حتى عند بليس ، وهو الذي حظيت عنده قضية الاقسام وترتيبها

بأكبر قدر من الاهتمام . ويؤكد هذه الحقيقة أن عدد الاقسام الرئيسية في خطط التصنيف المختلفة يختلف اختلافا كبيرا ، اذ هو يرتبط بعدد الرموز المتاحة . ولو كان ثمة تعريف واضح ومتفق عليه للقسم الرئيسي لما حدث هذا الاختلاف لأن الجميع يقسمون عالما واحدا هو عالم المعرفة ، كما أن ناتج التقسيم وهو الاقسام الرئيسية في خطة التصنيف يشتمل على المعرفة جميعا حتى وان اختلف العدد من خطته الاخرى . فاقسام كتر أو براون أو بليس أو مكتبة الكونجرس أو رانجاناتان هي في مجموعها متفقة من حيث المحتوى وان تفاوت محتوى وعدد الاقسام كل على حدة . وهذا يدل على أنه لا يوجد معيار يحدد بمقتضاه طريقة اشتقاق أو تكوين القسم الرئيسي .

والمفروض أن نبدأ بتعريف القسم الرئيسي ووضع معيار محدد له ، ثم نمضي في تطبيق هذا المعيار في تكوين الأقسام الرئيسية دون الخضوع لاحتياجات الرمز ، ثم تدبير الرمز المناسب الذي يكفي لعملية الترقيم . ولكن المشكلة هي أن عدد الرموز المتاحة محدود ، ومن ثم فلا بد أن تتأثر الاقسام الرئيسية بعدد الرموز المتاحة . فالحقيقة هي أن الاقسام الرئيسية في خطط التصنيف المختلفة ليست أقساما للمعرفة بل هي أقسام رمزية . والدليل على ذلك أن عددها يتفاوت : فهي في ديوي تسعة وقسم عام ، وفي بليس ٥٣ قسما ، وفي مكتبة الكونجرس ٢١ قسما ، وفي كتر قريب من ذلك ، وفي ط ٧ من الكولون ١٠٦ قسما رئيسيا . وهي مرتبطة بالرموز التي استخدمتها كل خطة . فاستعمل ديوي الأعداد وحدها وكان أمامه عشرة أماكن ، ومكتبة الكونجرس وكتر استخدما الحروف وحدها (للأقسام) فكان أمامهما ٢٦ قسما . أما بليس فقد استعمل الحروف الكبيرة والصغيرة والأعداد فكان أمامه مدى رمزي أكبر . وقد استعمل رانجاناتان كل هذه وأضاف اليها علامات أخرى ولذلك جاء العدد عنده أكبر .

ولو كانت الاقسام الرئيسية معرفة تعريفا كافيا على المستوى الذهني لما حدث هذا التفاوت ، ولكنها تقليد مرتبط بعدد الرموز المستعملة .

وقد كان من الضروري معالجة هذه القضية بالنسبة للخطة العربية للتصنيف ، بمعنى : ما هو القسم الرئيسي ، وما هي الاقسام بالنسبة للخطة العربية ، ثم ما هو ترتيب هذه الاقسام فيما بينها .

وقد وضعنا التعريف التالي للقسم الرئيسي :

القسم الرئيسي من أقسام المعرفة هو مجـال أو دراسة متمايزة عـن غيرها ومتجانسة فيما بينها ، فتكون الدراسة متمايزة بحيث لا يدخل فيها غيرها ولا تختلط بأقسام أخرى ويكون محتواها متجانسا • وقد لا يكون هـذا التعريف قاطعا وكافيا لكل أغراض تصنيف المعلومات ولكنه ربما كان يصلح على الاقل للطبقة الاولى من خطة التصنيف ويصلح أساسا لعزل الاقسام الرئيسية للمعرفة •

وقد قمنا بدراسة مقارنة لمفهوم القسم الرئيسي علـى المستوى الذهني وفي خطط التصنيف المختلفة • وقد خرجنا من الدراسة بقائمة للأقسام الرئيسية وأضفنا اليها الدراسات العربية والاسلامية الرئيسية كأقسام مستقلة (١٣) •

ترتيب الأقسام الرئيسية في خطة التصنيف العربية والنظرية الاسلامية لتنظيم المعرفة •

بعد تحديد قائمـة الاقسام الرئيسية فان الخطوة التالية هـي ترتيب هذه الاقسام ، بمعنى تحديد تسلسل ترتب بمقتضاه الاقسام في القائمة • ولا شك أن هناك ترتيبا أفضل مـن ترتيب اخـر • وقد كـان مـن الضروري تعرف الجذور والتأثيرات الثقافية التي تخضع لها عملية ترتيب الاقسام الرئيسية • واذا كنا قد بدأنا بالاسلام فقد كان من الضروري تكملة التسلسل من جهـة واكتشاف الاساس العقلي والعلمي للعملية كلها • والبعض لا يهتم بهذه القضية ويرون تطبيق نظام أجنبي ولا يجدون بأسا في أن تكون الفلسفة هـي أول الاقسام في خطـة تصنف بها المكتبات العربية (١٤) •

لقد وضعت منذ عشر سنوات تقريبا افتراضا سجلتـه في مقدمة كتاب مفتاح السعادة فقد كتبت في تلك المقدمة مبحثا عن التصنيف عند العرب ، وعددت الاسباب التي تدعونا لدراسة تاريخ التصنيف ، فكتبت في ذلك الحين :

« وفوق ذلك : فان نظـم تصنيف المعرفة تعد صورة للحيـاة العقليـة لدى أصحابها وعند الأمة التي نشأت فيها وفي العصر الذي وضعت فيه ، هي مرآة تنعكس

عليها الحياة العقلية وصورة للنظام التربوي عند هؤلاء الاقوام في العصور الثقافية المختلفة ، وهي صورة توضح المسار الذي سارت فيه حركة المعرفة منذ أقدم العصور حتى انتهت الى عصرنا الحاضر ، وهي صورة لمجرى التفكير البشري في تاريخه الطويل » (١٥) ٠

وقد كان هذا الافتراض قد سجل في ذلك الوقت لمجرد تبرير دراسة أنظمة التصنيف التي أعدها العلماء والفلاسفة للمعرفة ومنها التصنيف الذي أعده صاحب مفتاح السعادة نفسه ٠ ولم يكن يدور بظني في ذلك الوقت المبكر أن الافتراض خطير وصادق الى درجة أنه يجب أن يكون أساسا لتنظيم المعرفة في خطة التصنيف ، فيدور هذا التنظيم مع الخلفيات الثقافية والفكرية لكل أمة ويكون أساسا لتصنيفها ٠

ومنذ ذلك الحين ، أخذت تتجمع عندي ، عن قصد أو غير قصد ، شواهد تؤكد صدق هذا الافتراض وسلامته ٠ وقد تجمع لدي الكثير :

١ ـ التصنيف اليوناني للمعرفة ممثلا في تصنيف ارسطو ، جعل أقسام العلوم هي أقسام الفلسفة ، اذ كانت الفلسفة اليونانية هي علم العلوم ، وكل العلوم فروع لها ٠

٢ ـ التصانيف العربية اختلفت معالجتها باختلاف منحاها :

أ ـ تصانيف الفلاسفة : من أمثال الكندي والفارابي وابن سينا واخوان الصفا وفيها يبدو واضحا تأثر الفلاسفة العرب بالصتنيف اليوناني الأرسطي ٠

ـ ابن سينا يسمي رسالة له : أقسام العلوم العقلية وتصنيفه فيها يشبه تماما تصنيف أرسطو ٠

ـ الفارابي في احصاء العلوم يهتم اهتماما كبيرا بالعلوم الحكمية الفلسفية ، وحينما يضطر الى الاعتراف ببعض العلوم الشرعية مثل علم الفقه وعلم الكلام لا يفردهما في قسم مستقل وانما يجعلهما جزءا من الفلسفة العملية وهي القسم الثالث من أقسام الفلسفة عند أرسطو ٠

ب ـ تصانيف العلماء مـن أمثال الخوارزمي (صاحب مفاتيح العلوم) وابن خلدون ، تميز بهـا علوم العرب وعلوم العجم ، ولهذا فقد أعطت للعلوم العربية الاصيلة مكانها المناسب ٠

جـ ـ طاش كبري زادة يخصص للعلوم العربية العرف أربع دوحات من سبع اشتمل عليها كتابه وتصنيفه وهـي تشغل اكثر مـن مجلدين كاملين من بين ثلاثـة مجلدات ٠ وباقـي المجلد الثالث (الاول في الترتيب) للعلوم الاجنبية ٠

وسوف نعود الى هذه النقطة فيما بعد ، ولكننا نخلص الآن الى العلوم العربيـة الأصيلة قد جـاءت علـى استحياء في تصانيف الفلاسفة وتاهت وسط علـوم الفلسفة او تجوهلت تماما ، ولكنها احتلت مكانها اللائق في التصانيف العربية الحقة ، بل ان كثيرا من الكتب لم تسجل الا هذه الكتب فقط ٠

وما أشبه غربة العلوم العربية الاسلامية في أنظمة الفلاسفة بغربتها في التصانيف الغربية الحديثة في عالم اليوم وفي التعديلات التي تنحو منحاها !!

٣ ـ تصنيف فرنسيس بيكون للمعرفة على التصانيف التالية لأنـه كان مبشرا بالمنهج التجريبي الذي ساد العلوم الطبيعية في العصور التالية له ٠ ولكل عصر من العصور سمته ونكهته وقد كـان القرنان ١٧ ، ١٨ همـا عصر العلوم الطبيعية ومن هنا تأثر التصانيف التالية ببيكون مثل ديوي وكتر وتصنيف مكتبة الكونجرس ٠

٤ ـ انتشر تصنيف الاحيـاء في القرنين ١٧ ، ١٨ لهـذا السبـب أيضا ، بل وأصبح تصنيف الاحياء هو النموذج المثالي في التصنيف لفترة معينة وقبل النظريات الحديثة ٠

٥ ـ النظريات الاولى في التصنيف ، والتـي يمكن القول بأنهـا أصبحت الآن تقليدية أو قديمة كانت متأثرة بعصرها ومرتبطة به : النصف الثاني من القرن التاسع عشر : فريتشاردسون يتأثر بنظرية التطور ويزعم أن هناك

نظاما للتطور يسود الاشياء الطبيعية ، ويؤسس نظرية للتصنيف تقوم على نظام التطور الـذي كـان يسود العلوم الطبيعية في ذلـك الوقت ، فنظام التصنيف عنده يتبع نظام العلوم ، ونظام العلوم يتبع نظام التطور ٠

وسايرز ثم بليس يصوغـان الأسس الفلسفيـة والنظرية للتصنيف مستمدة من قواعد التقسيم المنطقي التي تعكس الاصل الفلسفي للتصنيف٠

وبليس يؤسس نظرية للتصنيف تقوم على عدد من المبادىء ، منها مبدأ التبعيـة : Subordination ، ومبـدأ التـدرج في التخصص Gradation in Specialty ٠ والمبـدأ الاخير يشبـه مبدأ الاعتماد Dependence عند أوجست كونت ، أي اعتماد العلوم علـى بعضها وتدرجهـا في التخصص والاعتمـاد ٠ وهو يشبـه مبدأ تزايـد التعقيد والخصوصية أي الانتقال من البسيط الى المعقد أو المتشابك ٠

٦ ـ أنظمة التصنيف الغربية تبدأ كلهـا بالفلسفة ، ولا شك ان هذا أثر من آثار الفلسفة اليونانية القديمة التـي تعد الحضارة الغربيـة الحديثـة وريثة لها ٠

٧ ـ ترتبط العلوم الرياضية والعلم العـام بالفلسفة عند بليس ، وهذا أيضا من آثار ارتباطها القديم بالفلسفة عند اليونانيين ٠

٨ ـ تطور توزيع الاقسام الرئيسية في خطط التصنيف الحديثة علـى مجالات المعرفة متأثر بالعصر الذي وجدت فيه ، وهو يتفاوت تفاوتا بينا ما بين ديوي (أول خطة حديثة ظهرت الى الوجود ١٨٧٦) الذي كـان يعكس حالة المعرفة في الربع الاخير من القرن ١٩ وبين آخر خطة ظهرت وهي ط ٧ من تصنيف الكولون لرانجاناتان ٠

كانت المعرفة في ديوي تؤكد على المجالات التقليدية للمعرفة وهي المجالات الاستاتيكية ، فاعطى لها ثمانية أقسام من عشرة ، وبقـي للعلوم البحتة والتكنولوجيات ، وهي المجالات الدينامية ، قسمين فقط ٠

بل أن توزيع بعض الموضوعات في التكنولوجيات ـ كالهندسة مثلا ـ يعكس هذه النظرة ، فقـد شغلت الهندسة المدنية مكانـا كبيرا بالنسبة للهندسة الميكانيكية والكهربائية ٠

أما ط ٧ من تصنيف الكولون فقد خصص معظم الاماكن للموضوعات الديناميكية تعبيرا عن روح العصر ونكهته وهو عصر التكنولوجيا • كما اهتم بالموضوعات التي تظهر عن طريق الالتحام والاندماج ، بل لا نغالي اذا قلنا ان تصنيف الكولون استجابة لحاجة المعرفة الحديثة وهي التي تنمو من خلال التركيب أو التخليق في العلم Synthesis ، ولذلك جاء التصنيف التحليلي التركيبي كحل لهذه المشكلة •

ولو أخذنا في الاعتبار نظريات فرادان في محاولة تطبيق المنهج الاستقرائي في التصنيف ومحاولات جماعة البحث في التصنيف تطبيق فكرة التحليل الوجهي على المعرفة ككل وجعلها وجهين رئيسيين : وجه الموجودات Entities ووجه الصفات Attributes ، لوجدنا أن التصنيف الذي بدأ فرعا من فروع الفلسفة عند طاش كبري زادة (فرع من العلم الالهي) قد أصبح الآن علميا يدخل في تكوينه الجزئيات والجسميات والاجزاء والاشياء والآلات أكثر من الاقسام والشعب والفروع•

٩ — التصنيف الهندي الوحيد (تصنيف الكولون) يعكس تأثره بأصله الهندي، فهو الخطة الوحيدة التي أفردت قسما شبه شامل للتجربة الروحية والسحر ، كما أن الجزء الثالث من الكولون قد خصص لقوائم الكلاسيات الهندية والكتب المقدسة مع أسمائها الخاصة ، سواء في الطب أو التجربة الروحية والسحر أو الفنون الجميلة أو الادب أو اللغة أو الدين أو الفلسفة الهندية ، وهذه تشكل جانبا كبيرا من الخطة •

١٠ — التصنيف السوفيتي يبدأ بالماركسية اللينينية باعتبار أنها أصبحت عندهم محل الدين ، ثم يصبغ ترتيبه لأقسام الخطة بعد ذلك بالتفسير المادي للمعرفة •

١١ — هناك أمثلة كثيرة على اختلاف التصانيف عند الأمم المختلفة بسبب اختلاف الثقافة أو العقيدة ، بل عند الأمة الواحدة في فترات مختلفة من تاريخها وتفكيرها • ومن أمثلة ذلك أن الثورة الفرنسية قد أدت الى اعادة التفكير في كثير من جوانب الحياة في فرنسا ومن بينها عالم الكتب •

د• عبد الوهاب عبد السلام أبو النور
قسم المكتبات ـ كلية اللغة العربية

الهوامش والمصادر

(١) لمعرفة العلاقة بين النوعية انظر : عبد الوهاب ابو النور : التصنيف عند العرب • (في : مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم • المقدمة • جا • ص ص ٤٣ ـ ٧٦) •

(٢) ناقشنا هذا الموضوع بالتفصيل في : دراسة مقارنة لبعض خطط التصنيف البليبوجرافي لاستنباط الأسس لخطة عربية للتصنيف في الفصل الخاص بالعلاقة بين تصنيف المعرفة وتصنيف الكتب •

(٣) انظر في ذلك مثلا :
Vickevy, B.C. Classification and Indexing in Science

(٤) انظر في ذلك : عبد الوهاب أبو النور : التصنيف لاغراض استرجاع المعلومات • ويلاحظ ان العنوان الاخير يكاد يتطابق مع التسمية فيما عدا حذف كلمة تنظيم • ود اوضحنا في الكتاب ان الاسترجاع يتضمن التنظيم لان الاخير بفرض الاسترجاع • (تحت الطبع) •

(٥) دراسة مقارنة لبعض خطط التصنيف البيليوجرافي لاستنباط الأسس لخطة عربية للتصنيف • رسالة الماجستير • كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، ١٩٦٧ •

(٦) عالجنا هذه القضية بالتفصيل في دراسة أخرى هي : التعديلات العربية للتصنيف العشري لديوي • القاهرة ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، ١٩٧٤ • وثيقة رقم ٤/١/٧/٣ تنفيذا لتوصيات مؤتمر الاعداد البيليوجرافي الاول الرياض : ٢٤ نوفمبر / تشرين ثان ـ ديسمبر / كانون اول ١٩٧٣) •

(٧) عبد الوهاب ابو النور • التصنيف البيليوجرافي لعلوم الدين الاسلامي ، دراسة في منهج اعداد انظمة التصنيف مع تطبيقه في اعداد نظام تصنيف للدين الاسلامي • رسالة الدكتوراه • القاهرة ، كلية الآداب جامعة القاهرة ، ١٩٧٢ • (نشر في دار الثقافة للطباعة والنشر) •

(٨) اتخذنا هذا التصنيف أساسا لتنظيم « البيليوجرافيا الموضوعية العربية ، علوم الدين الاسلامي » وهي تحليل لمقالات المجلات الاسلامية تضم ما يقرب من ستين الفا من المقالات .

(٩) قرارات وتوصيات وبحوث مؤتمر الاعداد البيليوجرافي للكتاب العرب . الرياض ، ١٩٧٣ . وانظر بحثنا لهذا المؤتمر وهو بعنوان : نظم التصنيف في الوطن العربي ، المشكلات والحلول المقترحة . ص ص ١٥١ ـ ٢٤٧ .

(١٠) اعددنا دراسة عن عملية التجريب تشرح العملية وكيف اجريت في ٤٠ مكتبة في الوطن العربي كله وتناولنا فيها كل النقاط والمناقشات التي تمت في هذا الصدد وقمنا بالرد عليها : تجريب الخطة العربية للتصنيف ، وعلم الدين الاسلامي . (طبعة خاصة) .

(١١) عبد الوهاب ابو النور : التصنيف لاغراض استرجاع المعلومات (تحت الطبع) .

(١٢) شيرا ، جيس وايجان ، مرجريت ، الفهرس المصنف ، اسسه وتطبيقاته ، ترجمة عبد الوهاب ابو النور . ص ٧٠ .

(١٣) انظر : الخطة العربية للتصنيف ، الأسس والاطار العام : الفصل الثاني كله .

(١٤) كانت هذه النقطة بالذات مثار مناقشة بين الكاتب وبين أحد المكتبيين الاردنيين تعقيبا على محاضرة القاها في جمعية المكتبات الاردنية يوم ٥ مايو عام ١٩٧٦ .

(١٥) مفتاح السعادة : جـ١ ، ص ٤٥ .

نحو نظرية إسلامية لتنظيم المعرفة

للدكتور عبد الوهاب أبو النور

تناولنا في مقال سابق (١) مقدمات وتعريفات التصنيف والحاجة الى وجود خطة عربية للتصنيف ، وأوضحنا أن الخطوة الأولى في اعداد خطة التصنيف هي تحديد ماهي الأقسام الرئيسية ، ثم ترتيب هذه الأقسام الرئيسية ، ودللنا بشواهد واستقراءات جمعناها على أن ترتيب الأقسام الرئيسية يرتبط ارتباطا وثيقا بالحياة الفكرية عند أمة من الأمم ، وانتهينا الى أن لكل أمة خصوصياتها في التصنيف . فالتصنيف تابع للحياة العقلية للأمة التي يوجد عندها والعصر الذي يوجد فيه .

ونواصل في المقال الحالي الحديث عن الحياة العقلية للأمة الاسلامية لنصل من ذلك الى تحديد الأساس الفكري الذي يجب أن ترتب عليه أقسام الخطة العربية للتصنيف في اطار ما أسميناه بالنظرية الاسلامية لتنظيم المعرفة ، فنبدأ بمقارنة التصنيف بالفلسفة الاسلامية للعلوم والآداب في ١٧٩٥ استتبع ذلك مناقشات خاصة بتصنيف مكتبة المعهد . وقد رأى كامي Camus أن الثورة الفرنسية قد أدت الى تغيير المجتمع الى مجتمع علماني Secular بعد أن كان مسيحيا ، ولذلك عارض وضع المسيحية على رأس التصنيف وهي الطريقة التي كانت متبعة من قبل !!

وهكذا ، فلو مضينا نتتبع التصانيف عند الأمم المختلفة فسوف نجد أن لكل أمة ولكل عصر خصوصياته في التصنيف ، ومن يدري ماذا عند الأمة الصينية أو اليابانية وغيرهما . فالتصنيف تابع للمعرفة والفكر والحياة العقلية للأمة والعصر . ولكل عصر نكهته الخاصة .

الفلسفة الاســـلامية :

اذا صح أن التصنيف مرآة تنعكس عليها الحياة العقلية للأمة ، فاننا في محاولتنا وضع أساس علمي للتصنيف العربي ينبغي أن نتعرف على المناخ العقلي والفكري للأمة الاســـلامية ؛ بمعنى محاولة التعرف على الاتجاهات الفكرية عند المسلمين • وأن ما يعبر من هذه الاتجاهات بصدق هو دراسة الفلسفة الاسلامية ، فالفلسفة هي عقـــل الأمة • وان موقف الباحثين من الفلسفة الاسلامية هو الذي يوضح هذه الاتجاهات •

ويمكن القول أن هناك أربع مدارس كبيرة في دراسة الفلسفة الاسلامية والنظر اليها :

١ – مدرسة تضم أغلب المستشرقين الأوربيين وعددا من التابعين لهم من الباحثين العرب • وترى هذه المدرسة أن الفلسفة الاسلامية تخلو من كل ابداع ، وأنها لم تأت بجديد ، وأنها هي الفلسفة اليـــونانية في ثوب عربي ، أي أنها مذاهب اليونان قد ترجمت الى لغة العرب ، وأن العرب قد قاموا بدور الناقل الأمين لهذه الفلسفة دون أن يضيفوا اليها شيئا • بل غالى بعضهم مدفوعين بتعصب ديني وجنسي الى حد القـــول بأن العرب الذين انحدروا عن جنس سامي لا يستطيعون أن يبتكروا فلسفة جديدة ، وأن الدين الاسلامي الذي كان يعتنقه فلاسفة الاسلام يعوق حرية الفكر وطلاقة النظر (٢) •

ويرى هؤلاء أن الفلسفة الاسلامية ما هي الا فلسفة الفلاســـفة : الكندي والفارابي وابن سينا وابن رشد •• الخ • ممن عرفوا بفلاسفة الاسلام ، وحاولوا بمنهج مقارن أن يبينوا التطابق التـــام بين مايسمى فلسفة اسلامية وفلسفة يونانية قديمة ، وأن يردوا الأولى الى الثـــانية • أي ان أصحاب هذه المدرسة قد قصروا بحثهم في الفلسفة الاســـلامية على طريقة يونان ولم يتعدوها (٣) •

٢ – المدرسة الثانية تنتصر لفلاسفة الاسلام هؤلاء ، ولكنها ترى أن فلسفتهم التي بدأت متابعة لفلسفة يونان لا تخلو من عناصر أصالة وابتكار أضافوا بها الى رصيد الانسانية من الفلسفة • وتنتصر هذه المدرسة للمذهب العقلي وتفضله على مناهج الأصوليين والمتكلمين • وترى أن فلاسفة الاسلام في محاولتهم التوفيق بين المعتقدات الدينية الاسلامية وبين فلسفة يونان كانوا أقرب الى روح الاسلام من المتكلمين من أمثال الأشاعرة • ويمثل هذه المدرسة المرحوم الدكتور محمود قاسم أستاذ الفلسفة الاسلامية بدار العلوم بالقـــاهرة •

٣ ــ المدرسة الثالثة ، وهي التي وضع أصولها المرحـــــوم الشيخ مصطفى عبد الرازق • وهو يرى أن الفلسفة الاسلامية الحقة تلتمس في كتابات المسلمين أنفسهم قبل أن يتصلوا بالفلسفة اليونانية • فلما أقبلت هذه الفلسفة أو مايسمونه بالفتنة اليونانية بدأ المســـلمون يوفقون بين ماالديهم من تفكير وحضارة دينية وبين هذه الفلسفة الدخيلة الطارئة • أي أن مصطفى عبد الرازق يرى أن الفلسفة الاســـــلامية لا تقتصر على فلاسفة الاسلام ، بل تلتمس كذلك في كتابات المتكلمين وعلماء الأصول • والفضل الأول لهذه المدرسة هو أنها وجهت النظر الى أصالة الفلســـفة الاسلامية في العلوم الاسلامية الحقيقية : علم أصول الفقه وعلم الكلام ، أي أنها خطت خطوة كبيرة في سبيل التأصيل ووسعت مدار بحث الفلســـفة الاسلامية الذي كان المستشرقون وأتباعهم من أصحاب التقليد يقصدونه على فلسفة المشائين المتابعين للفلسفة اليونانية ، فاصبحت الفلسفة الاســـلامية تشمل علوما اسلامية حقيقية •

٤ ــ المدرسة الرابعة ويمثلها علي سامي النشار ، وبينمـــــا يتفق النشار مع مصطفى عبد الرازق في ضرورة تلمس عبقرية المسلمين الفلسفية في كتابات الأصوليين ؛ علماء أصول الدين وأصول الفقه ، فهو يختلف معه بعد ذلك في اعتبار وجود فلسفة اسلامية أصيلة أيضا في كتابات فلاســـفة الاسلام •

ويرى النشار أن فلسفة فلاسفة الاسلام غير اســــلامية ، مشائية في كلياتها وجزئياتها ، وأن الفلسفة في أية أمة انبعاث داخلي يعبر عن الروح الحضاري لهذه الأمة ، وليس من المعقول أن تتشابه الانبعاثات الداخليـة العقلية لأمتين مختلفتين أشد الاختلاف جنسيا وعقليا ولغـــويا : هما الأمة الاسلامية والأمة اليونانية ، وأن فلسفة أمة من الأمم لا تخرج عن دائرة « السنة » التي تضعها هذه الأمة ومن خرج على هذه السنة لفظ حتما من دائرتها ولم يعد يمثل فلسفيا سوى فكره الذاتي • وهذا ما حدث لفلاسفة الاسلام ، فما كان « تكفير » هؤلاء باسم الاسلام سوى ثورة فكرية للروح الفلسفية الأصيلة ازاء فلسفة دخيلة لم تتقدح في أعماق الشعب المسلم (٥) •

وقد أثبت النشار في كتاب آخر له (٦) أن العقل اليوناني يختلف تماما عن العقل العربي ، وأن المسلمين قد رفضوا رفضا قاطعـــا المنطق الأرسطي ، وأن لهم منطقا تجريبيا في علم أصول الفقه خاصة يعتمد على المنهج التجريبي الذي نســـب خطأ الى فرنسيس بيكون ، بينمـــا حضارة اليونان تعتمد على المنهج القياسي •

ويمكن عند هذا الحد أن نخلص الى ما يأتي :

١ ــ الحضارة الاسلامية هي الحضارة الوحيدة من بين الحضارات جميعا التي ارتبطت بالدين وانبعثت عنه وانبنت عليه • بل ان هذه الحضارة مدينة للاسلام بكل شيء ، اذ لولا العقيدة الاسلامية لما كان للعرب أي شأن • وقد حدث هذا حينما ابتعدوا عن الدين فصاروا عزلا من أهم وأمضى أسلحتهم •

٢ ــ أن الحركة العلمية عند المسلمين كانت حركة أصيلة ، بدأت قبل بدء حركة الترجمة ، وكانت تستهدف فهم كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم • فالأصل كتاب وسنة وما تفرع عنهما من أصول وفقه ، وما احتاجوا اليه للدفاع عن عقائدهم وهو علم الكلام أو أصول الدين • وقد احتاج فهم كتاب الله الى علوم اللغة والأدب ، فنشأت هذه أصلا لخدمة علوم الدين ولذلك الحقت بها ، وعلم التاريخ نشأ فرعا لعلم الحديث ، اذ بدأت نشأته بالسيرة النبوية وهي حديث ، كما أن منهج علماء الحديث قد ساد العلوم الأخرى من تفسير وقراءات وتاريخ (في عهده الأول) • ومنهج علم الحديث هو الرواية أو الاسناد ، ولذلك اهتموا بالراوي أو الناقل منشأ علم الرجال •

٣ ــ المنهج العقلي السابق يعتمد على النصوص الثابتة • فلما كانت العقيدة الاسلامية غضة والاسلام وليدا والفطرة سليمة لم يحتاجوا الى التعقل • ولما بدأت الأفكار الدخيلة في القرن الثاني تترجم وتتداول كان موقف الاسلام منها واضحا ويمثله موقف الامام أحمد بن حنبل من مسألة خلق القرآن • وظل المنهج العقلي هو الممثل للروح الاسلامية الحقة ، ورفض الفكر الاسلامي كل دخيل •

ولذلك فان الفلاسفة المتابعين للفلسفة اليونانية لم يصدروا عن الاسلام ، ومن ثم فهم لا يمثلونه : هم تلاميذ في مدرسة يونان ، ومهما قيل عنهم ومهما نسب اليهم فهم لا يزيدون عن هذا الحجم • وما أشبههم بتلاميذ العصر الحديث المفتتنين بالأفكار الغربية الحديثة •

وقد ظل الفكر الاسلامي يرفض الآراء الدخيلة ، حتى ما اصطنعه المتكلمون من آراء عقلية لتأييد مذاهبهم • والأمثلة والشواهد كثيرة : موقف الامام الشافعي من علم الكلام وذمه له ، موقف الامام أحمد بن حنبل في فتنة خلق القرآن ، قتل الحلاج بسيف الشرع ، تكفير ابن رشد واحراق كتبه ، فتوى ابن الصلاح بتحريم الاشتغال بالمنطق ، وهكذا وهكذا •

التصنيف الاســـلامي :

لقد كان هدفي من دراسة مدارس الفلسفة الاسلامية أن قضية التصنيف مرتبطة بالحياة العقلية ، والحياة العقلية لأمة انعكاس لفلسفتها ، والفلسفة الاسلامية نابعة من الاسلام أي من العلوم الاسلامية الحقة · واذا كانت الفلسفة هي تجريد لحياة الفكر التي تحياها أمة من الأمم ، فان التصنيف تجريد التجريد ، أي هو تجريد للمعرفة في صورة رؤوس الموضوعات التي تعالجها تلك المعرفة · ومن ثم فان اطار التصنيف وتنظيمه يجب أن يتبع اطار المعرفة وتنظيمها ·

ليست القضية هي اذن مجرد ترتيب لعدد من الأقسام الرئيسية في خطة التصنيف ، بل هي أعمق وأخطر من هذا بكثير ، هي تجريد للثقافة الاسلامية في صورة الموضوعات التي تهتم بها هذه الثقافة · واذن فلو اتخـــذنا أي ترتيب من الترتيبات التي اصطنعتها الخطط المختلفة فكأننا نقلنا صـــورة للحياة العقلية لأمة من الأمم وطبقناها على الحياة العقلية للأمة الاسلامية · وفي هذه الحالة يجب أن تكون الأمتان متماثلتين ، فهل هذا ممكن ؟ واذا كنا قد خلصنا منذ قليل الى تميز الثقافة الاسلامية وارتباطها بالاسلام ، فما هو أثر ذلك على التصنيف ؟ ·

اذا نحن حاولنا بحث موضوع التصنيف الاسلامي فسوف نجد موقفا مشابها جدا لموقف الفلسفة الاسلامية · وقد وقع الكثيرون أيضا في خطــأ كبير وهو اعتقادهم بأن التصنيف عند المسلمين يشبه تماما التصنيف اليوناني متمثلا في أرسطو · وهؤلاء اما من المستشرقين أو ممن حـــــذوا حذوهم أو تأثروا بهم عن قصد أو غير قصد · وقد وقع أحد الباحثين في خطأ من هذا القبيل في رسالة للدكتوراة (٧) · ولهذا السبب ربطنا بين التصنيف وبين الفلسفة الاسلامية ، وخاصة وأن أوائل من ألفوا في التصــــنيف من المسلمين كانوا من الفلاسفة ·

ولسنا نريد أن نخوض في التفاصيل الدقيقة وانما نريد أن نخلص سريعا الى ملامح التصنيف الاسلامي ، وقبل ذلك لابد من نبذة عن أنواع التصانيف عند المسلمين وارتباطها بالفلسفة الاسلامية · وأسجل هنا أن الموضوع لازال بحاجة الى مزيد (٨) ·

أولا : هناك التصانيف الفلسفية الصرف ، مثل رسالة أقسام العقلية لابن سينا ، وتصنيف الفارابي في كتابيه : التنبيه على سبيل السعادة ، واحصاء العلوم ، ثم الكندي · وهذه التصانيف تشبه تصنيف أرسطو وخاصة ابن سينا والفارابي في التنبيه على سبيل السعادة · والمعرفة هنا هي الفلسفة

والعلوم أقسام للفلسفة · وقد أدخل الفارابي علمين من العلوم الاسلامية هما علم الفقه وعلم الكلام ضمن الفلسفة العملية ·

وهؤلاء الذين يعتبرون أن الفلسفة الاسلامية هي فلسفة هؤلاء والفلاسفة يعتقدون في نفس الوقت أن تصنيفهم هو تراث العرب في الموضوع · ومن ثم لم يضيفوا شيئا الى اسهام يونان ·

ثانيا : هناك تصانيف علماء الدين مثل الغزالي في احياء علوم الدين · فقد كتب الغزالي الباب الثاني : في العلم المحمود والمذموم وأقسامها وأحكامها · ولا يقصد الغزالي هنا الى وضع تصنيف ولكن يمكن استشفاف نظرته الى العلوم · وفي هذا الباب تحليل طيب يوضح وجهة نظر علماء الدين في العلوم المذمومة والممدوحة ومايجب تعلمه ومالا يجب · وقد كان لهذا تأثير في كتب أخرى تالية فوجدنا السيوطي يؤلف كتابيه النقاية والدراية ويقصرهما على العلوم الشرعية بالمعنى الواسع ومعها الطب ، كما أن كثيرا من المؤلفات في مبادىء العلوم تقتصر على عدد أقل منها فهي تقتصر على أحد عشر علما فقط (٩) ·

ويمكن أن نخلص الى أن الغزالي يجعل العلوم قسمين كبيرين :

١ – العلوم الشرعية وهي علوم الدين ، ويلحق بها العلوم اللغوية لاحتياج العلوم الدينية اليها ، وبعض هذه العلوم فرض عين ، وبعضها الآخر محمود · وهذه هي العلوم العربية الأصيلة ·

٢ – العلوم غير الشرعية ، وهي علوم الفلسفة ، وبعضها مباح أو محمود مثل الحساب والهندسة والطب والفلاحة والحجامة والحياكة والسياسة ·

فالطب ضروري لبقاء الأبدان ، والحساب ضروري في المعاملات وقسمة الوصايا والمواريث وغيرها · وأصول الصناعات أيضا من فروض الكفايات : كالفلاحة والحياكة ، بل الحجامة · وما عدا هذه العلوم فهو مذموم ومحرم ·

ثالثا : هناك تصانيف العلماء الذين لم يكونوا أصلا من علماء الدين بالمعنى الضيق · ونخص منهم هنا الخوارزمي (محمد بن أحمد بن يوسف الكاتب) وابن خلدون ·

أما الخوارزمي (ت ٣٨٧هـ) فقد الف كتابه مفاتيح العلوم ، وجعله معجما أو قائمة تضم المصطلحات الدائرة في الاستعمال لهذا العهد وأعطى تعريفاتها • وقد قسم العلوم قسمين كبيرين •

أحدهما لعلوم العرب أو العلوم الشرعية أو العلوم العربية •

والثاني لعلوم المعجم أو العلوم الدخيلة أو العلوم الفلسفية •

وهو أول من يتوصل الى هذه القسمة فيما نعلم (الغزالي جاء بعده بما يزيد من قرن حيث توفى ٥٠٥هـ) • وهذه تعد بداية الفكرة العربية في التصنيف ، وهي التي جاءت واضحة فيما بعد عند الغزالي ، ثم اوضح عند ابن خلدون في القرن الثامن •

يقسم ابن خلدون في مقدمته العلوم قسمين :

العلوم النقلية ، وهم تضم العلوم الدينية واللغوية •

العلوم العقلية ، وهي تضم علوم الفلسفة •

وقد فرق ابن خلدون بينهما على أساس المنهج كذلك ، فهذه تعتمد على النقل عن الواضع الشرعي ، ولا مجال فيها للعقل الا في الحاق الفروع من مسائلها بالأصول • والثانية تعتمد على العقل •

وقد خطا ابن خلدون خطوة أخرى في سبيل الوضوح ، وهي أنه يذكر أن العلوم الاسلامية النقلية مختصة بالملة الاسلامية ، وأن كل أمة لها مثل ذلك • وهذا يشير الى تقسيم سنعود اليه بعد قليل •

رابعا : تصنيف الببليوجرافيين • ونخص منهم هنـــا ابن النديم في الفهرست وطاش كبرى زاده في مفتاح الســـعادة ، وكتاباهما في الحقيقة موسوعيان يضمان كل المعارف في عصريهما • ومع أن التركيز عندهما واضح على العلوم الشرعية الا أنهما في الترتيب النهائي لم يلتزما النسق الاسلامي • وربما كانا متأثرين الى حد كبير بالفارابي من حيث المعتقد (١٠) •

النظرية الاسلامية لتنظيم المعرفة :

يمكن أن نحدد فيما يلي أهم ملامح النظرية الاسلامية لتنظيم المعرفة ، والتي ينبني عليها ترتيب الأقسام في خطة التصنيف العربية :

أولا : التصنيف تجريد لفكر الأمة في صورة الموضوعات التي تهتم بها وتنبع من ثقافتها ، ومن ثم فيجب أن يخضع تسجيل هذه الموضوعات وترتيبها لفكر الأمة ٠

ثانيا : أن فكرة الأمة العربية الاسلامية ينبع من ارتباطها بالاسلام كعقيدة وسلوك ومنهاج متكامل للحياة من جميع زواياها ٠ وعلى ذلك فان هذا يجب أن ينعكس في ترتيب الأقسام في خطة التصنيف العربية ٠

ثالثا : ليست القضية اذن مجرد عدد من الأقسام الرئيسية يختلف ترتيبها في الخطط الأجنبية ، وانما هي قضية أساسية لأنها تعبر عن تميز الفكر الاسلامي عن الأفكار الأخرى ٠ وقد رأينا أن كل أمة تفضل أن يكون ترتيب الأقسام عندها انعكاسا لفكرها ٠ وهذا من حق كل أمة ، وليس فيه من بأس ٠ ولكن الخطأ هو تطبيق ترتيب وضع لثقافة مختلفة عن ثقافتنا دون وعي أو تبصر ودون دراسة لأصول ثقافتنا العربية الاسلامية ٠ وهذا هو الخطأ الذي وقع فيه أصحاب تعديلات عديدة ٠

رابعا : التقسيم الاسلامي للعلوم ، وهو يتمثل بصورة واضحة في تصنيف الخوارزمي والغزالي وابن خلدون يمكن أن يكون أساسا نستهدي به في عملية الترتيب ، وهو تقسيم مفيد يجد له سندا من العلم والعقل واستقراء الأمور ٠

خامسا : يمكن أن نحدد أهم خصائص هذا التصنيف فيما يأتي :

١ ـ أنه يقدم العلوم العربية الأصيلة ، وبهذا يربط خطة التصنيف العربية بالفكر الاسلامي الأصيل ، فتبدأ بعلوم الدين الاسلامي ، وقد ذكرنا من قبل أن الاسلام يجب أن يسبق العلوم الأخرى ٠

٢ ـ أنه يربط العلوم اللغوية بالعلوم الدينية ٠ والحقيقة أن علوم اللسان العربي من لغة وصرف ونحو وبلاغة ، الخ ، مرتبطة بالدين في التراث العربي ، وذلك لأسباب لعل أهمها :

(أ) أن هذه العلوم مقدمات أو آلات لدراسة العلوم الدينية من قراءات وتفسير وأصول فقه خاصة ، وهذا ينصب أثره على الفقه أيضا ، اذ هو المصب الذي تصب فيه الدراسات الدينية جميعا ٠ فعلوم الدين متوقفة في فهمها على علوم اللغة ، وقد كان ابن عباس رضي الله عنه يفسر القرآن بالشعر العربي ٠ لذلك لا عجب اذا وجدنا هذه العلوم تنشأ معا وتنفق سوقها في القرن الثاني الهجري ويظهر فيها عدد كبير من العلماء البارزين ٠

(ب) واذا كانت علوم الدين تستفيد من علوم اللسان ، فان الأخيرة تستفيد بنفس الدرجة وربما أكثر ، فهناك ما يسمى بتبـــادل الاعتماد بينهما • فالقرآن الكريم هو المصدر الأول والأصلي لجامعي اللغة العربية ، والفاظه الكريمة وتراكيبه اللغوية كانت معينا لا ينضب للغويين والنحويين ، وأساليبه التي جاءت في أعلى الذروة من البلاغة كانت ملاذ البلاغيين ••• وهكذا ••

(جـ) لذلك لا عجب وجدنا مباحث من علوم اللغـــــة وعلوم الدين مشتركة معا • فعلوم القرآن تضم كثيرا من المباحث التي تعـــد في الأصل لغوية أو بلاغية ولكنها ضرورية لتتميم الدراسات القرآنية ، وعلم دراية الحديث يضم كذلك مباحث لغوية . وعلم أصول الفقه نصفه مبـــاحث لغـــوية •

وهناك أيضا دراسات كثيرة تنصب على تأثر اللغة العربية وعلومها بعلوم القرآن : مثل تأثير القراءات في الدراسات النحوية ، وتأثير القرآن في الدراسات البلاغية •

٣ ـ لذلك فان من الضروري والمفيد أن ترتب علوم اللسان بعد علوم الدين •

٤ ـ العلوم الاسلامية العربيـــــة هي التي تعبر عن شخصية الأمة وخصوصياتها ، وهي كذلك عند كل أمة من الأمم ، ولذلك كانت هـــذه الشعبة من العلوم مثار المشكلات في أنظمة التصنيف الأجنبية ، ليس عندنا فقط ولكن عند الأمم الأخرى كذلك • أما العلوم العقلية بالمعنى الواسع فان منهجها واحد لأنها تتناول حقائق ونظريات واحـــــدة ، والاجتهاد أو أعمال الفكر فيها يمكن أن يؤدي الى نفس النتائج مهما تعددت الأماكن والأزمان • هي تتناول حقائق كونية أو بدنية أو مادية لا تتقيـــد بتغير الأزمان والأماكن ، وانما الذي يتغير هو مدى ما نكتشفه منها ، وهو يتوقف بدوره على مدى معرفتنا وامتلاكنا لأسبابها من أجهزة علميـــــة وامكانيات مادية ، الخ •• فالتفاوت هو في قدر معرفتنـــا بها وليس في حقائقهـــا أو مظاهرها •

٥ ـ ولذلك فان هذه العلوم لم تكن مصدرا للشـــكوى والمتاعب . وحينما لجأ بعض العرب الى ترجمة موجز ديوي ، ترجمـــوا دون تعديل الأقسام المتصلة بالعلوم والتكنولوجيات •

٦ – لا تتجاهل التصنيف الاسلامي للمعرفة العلوم العقلية ، وانما تدخل ضمن تقاسيمه ، فقد أفرد لها كل من الخوارزمي وابن خلدون شعبة مستقلة ، كذلك عالجها ابن النديم وطاش كبرى زادة . أما الغزالي فقد جعل بعضها كالطب والحساب من فروض الكفايات ، بل قدم تعلم الحساب على تعلم دقائق المسائل الفقهية اذا كان البلد يخلو ممن يجيدون الحساب .

٧ – ولذلك فيجب الا يفهم من مناقشتنا عن موقف المجتمع الاسلامي من الفلسفة والمذاهب الدخيلة أننا ندعو الى نبذ العلم ، فهذا لم يخطر ببالنا ، ولكننا كنا نريد أن نوضح أن الأولوية يجب أن تكون لعلوم الدين وما يرتبط بها . أما ترك المفيد من العلوم فهو مالم نقصد اليه . ومن البديهي أن العلوم سيكون لها مكان في خطة التصنيف .

٨ – أن تصنيف العلوم العقلية يمكن الاستفادة منه من أي تصنيف آخر لأن هذه العلوم لا وطن لها وليست ملكا خاصا لأي أحد ، أما العلوم النقلية فينبغي أن تعد تصانيفها بالرجوع الى انتاج علمائها وتعرف طريقتهم في تسجيلها وتقسيمها وترتيبها . وهـذا ما حدث بالفعل عنـد اعـداد « التصنيف الببليوجرافي لعلوم الدين الاسلامي » .

سادسا : اذا كانت هناك علوم محلية هي العلوم النقلية – ومعهـا الجغرافيا والتاريخ ، واذا كانت هنـاك علوم لا محلية هي العـلوم والتكنولوجيات ، فان هناك طائفة أخرى من العلوم تقع بين هاتين الطائفتين وتضم بقية العلوم الاجتماعية والانسانيات . وهي علوم ذات طابع محلي ولكنها تستفيد في حقائقهـا من منجزات الآخرين كذلك . فالسـياسة والاقتصاد والادارة والاجتماع تتسم بثنائية تجمع بين المحلية واللامحلية ، ويمكن أن نطلق عليها : العلوم شبه المحلية .

سابعا : الاطار العام الذي سوف ترتب تفاصيل الأقسـام وفقا له هو اذن :

– العلوم المحلية وتشمل علوم الدين واللغة والجغرافيا والتاريخ .
– العلوم شبه المحلية وتشمل بقية الانسانيات والعلوم الاجتماعية .
– العلوم اللامحلية وتشمل العلوم والتكنولوجيات .

ثامنا : العلوم المحلية ذات طبيعة وطابع محلي في الترتيب تماما . والأخيرة يمكن أن يستفاد في ترتيبها من أية نظرية أو نظـام . وشبه المحلية يمكن أيضا أن تكون ثنائية الطبيعة والطابع فيستفاد في تنظيمها من النظريات والأنظمة المحلية والأجنبية على السواء .

تاسعا : هذه الخطوط الرئيسية يمكن أن تكون أساسا لترتيب أية خطة تصنيف ، واذا ما طبقت فلن تكون هناك أية مشكلات في ترتيب الأنظمة ، لأن الشكوى كانت دائما من العلوم المحلية وشبه المحلية • ويمكن لأية أمة أن تقدم في الترتيب علومها المحلية وشبه المحلية مكان علومنا •

عاشرا : لم توجد خطة ولا يمكن أن توجد خطة تستطيع أن تحقق العالمية ، لأن هناك خصوصيات يجب أن نعترف بها في التصنيف : فلا يمكن أن توجد نظرية لترتيب الموضوعات ترضي كل الثقافات والعقائد : الغربية بفلسفتها وديانتها المسيحية وآدابها ولغتها وتاريخها وجغرافيتها ، الخ •• والاسلامية بدينها ولغتها وآدابها ، الخ •• ان معنى هذا هو أن تعالج هذه الخطة العالمية المزعومة المحليات بنفس الدرجة من الكفاية والتفصيل وأن تقدم الفئات المفضلة في كل الثقافات وهذا مستحيل •

حادي عشر : بعد المحليات والفئات المفضلة تأتي افكار التقارب الموضوعي المكاني أو الثقافي • فاللغات الاسلامية مثلا أقرب الى اللغة العربية وكذلك اللغات السامية الأخرى • والديانات السماوية أقرب من الديانات غير السماوية ، وهكذا • أي بعد تحديد الفئة الأولى وهي الاسلام والعربية ، الخ ، تحدد الفئة الثانية في كل موضوع من الموضوعات ثم الثالثة ، وهكذا •

ثاني عشر : هناك موضوعات ضمن اللامحلية ، ولكن قد يكون للمحليات فيها بعض الظلال ، مثل تواريخ العلوم ، خصوصيات في الأمراض (في الطب) في المؤسسات العلمية •• الخ • وهذه يمكن أن تراعى عند اعداد التفاصيل •

وقد قمنا بترتيب موجز الخطة العربية للتصنيف وفق الخطوط العامة السابقة ، ولا داعي للاطالة بذكر تفاصيل الترتيب ، أو بايراد موجز الخطة كاملا ، وانما سوف أعطى فقط موضوعات الشعبة الأولى من العلوم وهي العلوم المحلية مرتبة فيما بينها دون تعرض للتفاصيل •

علوم الدين الاسلامي
الاسلام عامة
علوم القرآن
علوم الحديث
علم أصول الفقه

} وهـذا هو ذات الترتيب الذي جاءت عليه في « التصنيف البيبليوجرافي لعلوم الدين الاسلامي » وقد ناقشنا أساسياته في مكانها •

علم الفقه
علم الكلام او التوحيد او العقائد او اصول الدين
الفرق
التصوف
الاحياء والاصلاح الديني
فلسفات المسلمين

الفلسفة الاسلامية (المستمدة من الاسلام)
فلسفة الاسلاميين (مكان بديل في تاريخ الفلسفة ـ وهي الفلسفة المتاثرة بالفلسفة اليونانية وغيرها من الفلسفات ، تشمل الفلسفة الحديثة) .
الدين والفلسفة
(يشمل الديانات المقارنة)

الديانات الأخرى

اليهودية
المسيحية
الديانات غير السماوية
علوم اللسان العربي

الأدب العربي } تفصل
اللغة العربية }

اللغات والآداب الأخرى

اللغات } تفصل
الآداب }

الجغرافيا والتاريخ

الجغرافيا (تشمل الجغرافيا العامة والسياسية فقط . فروع الجغرافيا الأخرى في العلوم البحتة) .
السياسة
جغرافية الوطن العربي
جغرافية البلاد المختلفة

التاريخ

علم التاريخ والتاريخ العام (يشمل تاريخ العـــالم وتاريخ الحضارة الانسانية)

المصادر التاريخية

التاريخ الاقتصادي

تاريخ الوطن العربي

تاريخ البلاد المختلفة

ثم تأتي بقية العلوم : شبه المحلية ثم اللامحلية · واذا كان قد تم اعداد تصنيفين الآن : للدين الاسلامي (علوم محلية) والتربية (علوم شبه محلية) فان بقية الخطة تبقى · وبقدر ما ننظم العمل ونسرع فيه بقـــدر ما نحل مشكلات المكتبات العربية · ولكن هذه قصة أخرى تحتاج الى تفصيل ·

ملحوظة عن المصـــادر :

مصادر هذه الدراسة كثيرة جـــدا ومتنوعة لدرجة لا يمكن معهـــا تسجيلها ، فهي تشمل مصادر في التصنيف وهي كثيرة ، ومصادر في الفلسفة الاسلامية ، ومصادر في موضوعات العلوم العربية ، ومصادر في تاريخ العلوم · ولذلك فسوف اكتفى بتسجيل الوثائق الأساسية التي تمت في الخطة العربية للتصنيف ، وبعض المصادر القليلة التي ترجمت الى العربية حتى اذا أريدت المتابعة أمكن ذلك · هذا علما بأن المصادر التي تلي بعد تضم في نهاياتها ببليوجرافيات متنوعة تفي بالغرض ·

١ ـ عبد الوهاب عبد السلام أبو النور · تجريب الخطة العربيـــة للتصنيف ؛ علوم الدين الاسلامي · القاهرة ، المنظمة العربية للتربيـــة والثقافة والعلوم ، ١٩٧٥ · وثيقة رقم ٤/١/٦/٤ تنفيـــذا لتوصيات مؤتمر الاعداد الببليوجرافي الأول (الرياض : ٢٤ نوفمبر/تشرين ثان ـ ١ ديسمبر/كانون أول ١٩٧٣) · ٦٧ ص · طبعة خاصة · ويعرض على مؤتمر الاعداد الببليوجرافي الثاني في بغداد في شهر أكتوبر ١٩٧٧ ·

٢ ـ ــــــــــ · التصنيف الببليوجرافي لعلوم الدين الاسلامي ؛ دراسة في منهج اعداد أنظمة التصنيف مع تطبيقه في اعداد نظام تصـــنيف للدين الاسلامي · القـــاهرة ، دار الثقـــافة للطباعة والنشر ، ١٩٧٣ · ٦١٤ ص ·

٣ ـ ــــــــــــ • التصنيف لأغراض استرجاع المعـــلومات • (تحت الطبع) •

٤ ـ ــــــــــــ • التعديلات العربيـــة للتصـــنيف العربي لديوى • القـــاهرة ، المنظمـة العربيـة للتربيـة والثقـافة والعـلوم ، ١٩٧٤ • وثيقة رقم ٤/١/٧/٣ تنفيذا لتوصيات مؤتمر اعداد الببليوجرافي الأول بالرياض (انظر رقم ١) ٨٦ ص • طبعة خاصة •

٥ ـ عبد الوهاب عبد السلام أبو النور • الخطة العربية للتصنيف : الأسس والاطار العام • (تحت الطبع)

٦ ـ ــــــــــــ • الخطة العربيـــة للتصنيف : تصنيف التربية والتعليم (تحت الطبع) •

٧ ـ ــــــــــــ • الخطـــة العربيـــة للتصـــنيف والببليوجرافيا الموضوعية العربية ودورهما في خدمة التراث العربي • مكتبـــة الادارة (الريـــاض) ، س ٤ ، ع ٣ ، صـــــفر ١٣٩٦هـ/فبراير ١٩٧٦م • ص ص ٥ ـ ٣٨ •

٨ ـ ــــــــــــ • دراسة مقارنة لبعض خطط التصنيف الببليوجرافي لاستنباط الأسس لخطة عربية للتصنيف • رسالة الماجستير • كلية الآداب جامعة القاهرة ، ١٩٦٧ • ٣٠٠ ص •

٩ ـ ــــــــــــ • مقترحات لجمع وخدمة التراث العربي • الثقافة العربية ، ع ع ، ١٩٧٦ • ص ص ١٩٦ ـ ٢٣٤ •

١٠ ـ ــــــــــــ • نظم التصنيف في الوطن العربي : المشـــكلات والحلول المقترحة • في : قرارات وتوصـــيات وبحوث مؤتمر الاعـــداد الببليوجرافي للكتاب العربي ، الرياض ، وزارة المعـــارف ، ١٩٧٣ • ص ص ١٥١ ـ ٢٤٧ •

تحقيقـــــات :

١١ ـ طاش كبرى زادة ، أحمد بن مصطفى • مفتاح الســـعادة ومصباح السيادة في موضوعات العـــلوم • تحقيق كامل كامل بكري وعبد الوهاب أبو النور • القاهرة ، دار الكتب الحديثة ، ١٩٦٨ • ٤ مج • ويلاحظ أن المقدمة تحوي معلومات عن التصنيف عند العرب : ج ١ ، ص ص ٤٣ ـ ٧٦ •

ترجمـــات :

١٢ ـ شيرا ، جيس وايجان ، مرجريت · الفهرس المصنف ، أسسه وتطبيقاته · ترجمة عبد الوهاب عبد السلام أبو النور · القاهرة/بيروت ، دار الوطن العربي ، ١٩٧٥ · ١٩٦ ص ·

١٣ ـ فوسكت ، أ· س· تنظيم المعـــلومات في المكتبات ومراكز التوثيق · ترجمة عبد الوهاب عبد السلام أبو النور · تحت الطبع ·

١٤ ـ ملز ، ج· نظم التصنيف الحديثة في المكتبات ؛ أسسها النظرية وتطبيقاتها العملية · ترجمة عبد الوهاب عبد الســـــلام أبو النور · القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، ١٩٦٦ · ٣٨٥ ص ·

أعمال بيليوجرافية :

١٥ ـ عبد الوهاب عبد السلام أبو النور (محرر) البيليوجرافيات الموضوعية العربية ؛ علوم الدين الاسلامي · القاهرة ، المنظمة العربيـــة للتربية والثقافة والعلوم ، ١٩٧٦ ـ (من المقرر أن تصدر في ثمانية مجلدات وقد طبع منها حتى الآن ثلاثة · وتضم مقدماتها تحليـــلات وافية للخطة العربية للتصنيف وعلوم الدين الاسلامي خاصة · كما أنها نموذج طيب على تطبيق تصنيف الدين الاسلامي على عدد كبير من المقالات في علوم الدين الاسلامي ـ حوالي ٦٠ الفا من المقالات) ·

الهـــوامش

١ ـ انظر العدد الرابع للسنة الثالثة من مجلة الدارة ص ٩٤ ـ ١١٣ ·
٢ ـ توفيق الطويل : أسس الفلسفة · الفصل الخاص بالفلسفة الاسلامية ·
٣ ـ علي سامي النشار · نشاة الفكر الفلسفي في الاسلام · ط٣ · جـ١ ، ص ٢٠ ·
٤ ـ مصطفى عبد الرازق : تمهيد لتاريخ للفلسفة الاسلامية (مسندة في علي سامي النشار نفس المصدر) ·
٥ ـ نشاة الفكر الفلسفي في الاسلام : ص ص ٦٤٢ ـ ٦٤٤ ·
٦ ـ مناهج البحث عند مفكري الاسلام · الاسكندرية ، دار المعارف ، ١٩٦٥ ·
٧ ـ انظر تفاصيل المسالة في بحثنا : الخطة العربية للتصنيف ، الأسس والاطار العام · ص ص ٥٤ ـ ٥٦ ·
٨ ـ انظر التفاصيل في المصدر السابق ص ص ٥٦ ـ ٧٠ · ولازال التصـــنيف الاسلامي بحاجة الى مزيد من التعميق ·
٩ ـ انظر للتفاصيل : المصدر السابق ·
١٠ ـ انظر المصدر السابق ، وانظر أيضا : مقدمة مفتاح السعادة ·